

خُذِي بِيَدِ طِفْلِكَ رَبِّهِ اللهُ

تأليف

سَمِيحَةُ أَحْمَدُ قُرَيْشِي

بمعهد التربية العالي للمعلمات
درجة شرف علم النفس جامعة لندن
دبلوم فرديل العالي في التربية



obeykandl.com

مقدمة

كان الحافظ الأول لهذه السلسلة من الأحاديث حلول شهر رمضان ، وتهيئة المصريين لاستقباله بشتى الطرق ، فلاحظت أن هذه التهيئة متجهة إلى البالغين دون سواهم ، ولم أشعر بأن للناشئين نصيباً من هذه العناية ، لا بمناسبة حلول شهر الصوم ولا بأية مناسبة دينية أخرى . فدعاني هذا إلى التأمل : ألا يمكن أن يصيب النشء من رمضان أكثر مما يصيبه من « قمر الدين » « و المكسرات » ؟ هل من الطبيعي أن يكتفى أطفالنا من المولد النبوى برأئسه وفرسانه ؟ .

إن أطفالنا يفتقرون إلى توجيه ديني من نوع خاص ، توجيه غير الذى يتضمن تحفيظ الصلاة وتعليم أصول الدين . إننى أحترم هذا الجانب وأترك التوجيه فيه للمختصين من رجال الدين ، فهم خير من يقوم به ، ولكنى أشعر أن التوجيه الدينى فى السنوات الأولى من الحياة يتخذ شكلاً آخر يتفق وطبيعة الطفل النفسية ونموه العقلى والوجدانى ، يتفق والمهمة الفريدة المنوطة بالأم

في مراحل التربية الأولى ، يتفق مع جوهر الحياة التي يحياها
الطفل حينذاك .

ولعلمني أعبر عن شعور الكثيرين إذا قلت إن إعراض
القوم عن الدين في هذه الأيام يرجع في كثير من الحالات إلى
عزل الدين عن الحياة العملية ، حتى أصبحنا لا نفكر في الدين
إلا في صلاة الجمعة ، أو وقت الأذان أو ليلة المولد النبوي أو يوم
عيد الأضحى ، ولكننا لا نشعر بالدين في معاملتنا الاجتماعية
اليومية ، ولا في إنجاز أعمالنا العامة والتجارية والصناعية ؛
ولا أتعرض الآن لتزويج الدين بالحياة العملية عند البالغين ، فلقد
بدأت تعمل في هذا السبيل بعض الهيئات ، كالإذاعة اللاسلكية-
المصرية في أحاديث الصباح الدينية .

إنما أقتصر اليوم على تقديم هذه السلسلة من الأحاديث
إلى الوالدين خاصة والمربين عامة ، لكي أبين الدعائم النفسية التي
تقوم عليها الماطفة الدينية ، والمواقف اليومية التي تصور الإيمان
النابت في قلب الطفل ، حتى تستطيع الأم أن ترعى هذا النبات

الصالح وتوجهه الوجهة التي تقود إلى الدين الحق : الدين الذي
يحملنا نحترم الحق ونسعى إليه ، الدين الذي يحملنا نبجل الجمال
ونسعى إلى ابتكاره ، الدين الذي يملأ قلوبنا حباً للإنسانية
ويشجذ عزائنا لخدمتها

محمد أحمد قسطنطين

القاهرة في يناير سنة ١٩٥١

obeykandl.com

ينابيع العاطفة الدينية

لعلك ياسيدتي قد أعددت العدة لاستقبال شهر رمضان ،
ولعل صفارك من حولك فرحون مستبشرون ، يتوقون إلى محاكاة
الكبار في صومهم ، ولعلك تتساءلين بهذه المناسبة متى يجوز
لهم أن يقوموا بفريضة الصوم ، وما الدور الذي ينبغي أن تقوى
به أنت - بصفتك المريية الأولى - لإرشادهم في الأمور الدينية .
ولو تأملنا ملياً ، لوجدنا أن الدين ليس مجرد شهادة تتلى ،
وآيات قرآنية تحفظ ، إنما الدين شعور وعاطفة قبل أن يكون
كلاماً وحركات . الدين عقيدة وعمل قبل أن يكون مناسك
وتراتيل . الدين عاطفة تنبع من أعماق النفس البشرية ، تنبع من
تطلع الإنسان إلى اكتشاف سر وجوده وكنه الكائنات من
حواله ، تنبع من تلهفه إلى صدر رحيم يثق به ويطمئن إليه ، تنبع
من احتياجه إلى قوى عظيمة تشد أزره وتوجهه في هذه الحياة .

وإذا كان التدين عاطفة، فمضى ذلك أنه نظام ينمو تدريجياً من تفاعل النفس البشرية مع الحياة المحيطة بها، أى لا تنمو عاطفة التدين بمزلة عن العالم بل تنمو فى الحياة وبالحياء، وتتخذ مظاهر متنوعة فى مراحل النمو المتتالية، تنمو بنمو الشخصية وتنحل بانحلالها وتسمو بسموها، فإذا ما بلغت العاطفة الدينية أوج عظمتها، وجدت شخصاً يتفانى فى سبيل الحق أو شخصاً يتفانى فى ابتكار كل جميل، أو شخصاً يتفانى فى محبة الإنسانية وخدمتها.

فهل نستطيع ياسيدتى أن ننقب عن بذور تلك العاطفة فى نفس الطفل الصغير الذى لم يتجاوز السابعة من العمر؟ أم هل يجب أن نتنظر حتى يتقن التعبير عن أفكاره بالكلام، ويستطيع قراءة القرآن الكريم. وتفهمه؟

لا حاجة بنا إلى الانتظار، إذ يمكنك أن تبدئى منذ اللحظة الأولى بعد ولادة طفلك. لا أقول علميه، بل تعلمى منه. لاحظى هذا المخلوق الحبيب إلى نفسك، كيف يفتح للحياة، كيف ينمو بين يديك من يوم إلى يوم. أنظرى كيف يستجيب إلى

ابتسامتك ، كيف يتعلق بك وأنت ترضيه ، كيف يستجيم
راضياً بعد أن استمتع بلبنك وحنانك ، كيف يفرغ ويقتب
في مهده والشمس تداعب أطرافه ، كيف يقبض على الأشياء
ويتفقدتها بضمه ، كيف يحاول الزحف فالمشي فالنطق فالكلام .

وهكذا يتوالي نموه بانتظام ، آيات بينات تسبح بعظمة الخالق
على مر الأيام ، فليس تحت الشمس من يسبح بمعجزة الخالق
ببلاغة أروع من تسبيح الطفل البشرى وهو يواصل نموه في
حضانه أمه . فلاحظي طفلك ياسيدي ليفهم قلبك بالإيمان أولاً
قبل أن تأخذي على عاتقك تنمية الماطفة الدينية في طفلك .
لاحظيه ليتسنى لك اكتشاف الينابيع النفسية التي تقوم عليها
هذه الماطفة .

أنظري مثلاً كيف ينقب في محتويات المنزل ويختبرها ،
يدفعه الشوق إلى المعرفة والرغبة في الاستقصاء ! أنظري إليه
وقد انطلق في الحديقة يشق الهواء شقاً ، يشاطر الأشجار توقيعها
والأزهار رحيقها والأطيوار تغريدتها ! يتدحرج على الحشائش
آناً ويطارده الفراشة تارة ، ويشكل بالرمل والماء حيناً ، وكل

حركة من حركاته تنبض بنشوة الحياة ، وتتم عن تذوقه لجمال الطبيعة المحيطة به ، وتمتعه بنعم الله على الأرض .

هل أنصت إلى سيل أسئلته المتدفقة عن : « من أين تأتي الأطفال ؟ وأين تذهب الشمس في المساء وهل يسير القمر معنا ؟ » وغيرها من الأسئلة التي تشير إلى تعجبه بآيات الخالق وإلى تفتح عقله ؟

وإذا استدعى الحال ، أرأيت كيف يهرع إليك يطلب النجدة أو العون أو المواساة وكله ثقة في عطفك الخالص ورحمتك الواسعة ؟ أما عن فيض محبته وعذوبة رفته فمن أدرى بهما منك ومن غيرك أسعد بهما حظاً ؟ وهل لتفانيك في تربيته وخدمته عاقبة أجمل من ذلك الحب الصافي الذي يبادلك إياه ، وذلك الحنان النزيه الذي يفرك به ؟

إذا لاحظت كل هذا بإخلاص ياسيدتى ، وحاولت أن تنفذى بعقلك وقلبك إلى نفسية الطفل ، لمست الينايع النفسية التي تمد العاطفة الدينية بالحياة والحيوية ، وأمكنتك أن توجهها الوجهة التي تفيد شخصية الطفل وتفيد المجتمع الذي يعيش فيه .

سوف ترين أن ولع طفلك باستطلاع بيئته هو بذرة البحث العلمى والاستقصاء عن كنه الوجود، وأن تعجبه أمام المشاهدات اليومية هو أساس تقديره لعجائب الكون. أو ليس تجنيد قوانا العقلية للبحث عن الحق بزاهة هو السبيل المحقق إلى الله؟ ألم يذنبنا الله فى كتابه الكريم إلى عجائب السموات والأرض وما بينهما؟ ألم يحثنا على استقصاء كنهها وتفهم أسرارها لتفهم قلوبنا بالإيمان؟ نخذي بيد طفلك إلى الله ياسيدتى، بتشجيع استطلاع التلقائى، وإشباع شوقه إلى المعرفة الصحيحة.

سوف ترين فى ابتهاج طفلك بجمال الطبيعة ومرحه بتنسيق الخليقة، مصدراً لتذوق الجمال ولابتكار الجمال فى شتى صوره. أو ليس من يهتز لجمال الخلق ويسعى إلى التعبير عن عواطفه وأفكاره بصور جميلة وأشكال جميلة وأنعام جميلة، أو ليس هذا المبتكر السليم الذوق قد نهج سبيل الله؟ أليس الله جميلاً يحب الجمال؟ نخذي بيد طفلك إلى الله ياسيدتى، بتغذية شعوره بالجمال، وبتعهد ينبوع الابتكار الجمالى فيه.

سوف ترين أن علاقة الحب التى تربط بينك وبين طفلك،

وثقتك في رحمتك واعتماده على عطفك وتوجيهك ، هي كلها أساس
التعاطف والتراحم بين البشر في المجتمع الكبير . والتراحم بين
الناس يقود إلى التعاون والاتحاد . أليست رسالة الدين الأولى
هي رسالة حب ووئام بين البشر ؟ أليس التأزر على الإصلاح
هو السبيل المحقق إلى الله ؟ نخذي ياسيدتي بيد طفلك إلى الله
برعاية هذا الرباط الحنون الذي يربط قلوبكما ، وتلك الثقة المتبادلة
التي توحد أهدافكما ، فتكونين بذلك قد أمددت طفلك بالقالب
الذي يصوغ على منواله علاقاته الاجتماعية خارج أسرته ، وأعدته
لمواجهة المجتمع الأكبر بالتفاؤل والتسامح والمودة . وإذا توافرت
المودة بين الناس كان التعاون بينهم سهلاً ميسوراً .

فأنت ياسيدتي المكتشفة الأولى لينايع العاطفة الدينية
في طفلك ، وأنت الموجهة الأولى لهذه الطاقة المتدفقة ، وإن
مهمتك لعظيمة .

العلم سبيل إلى الله

اعتاد الآباء والأمهات ياسيدتى ، حالما يبلغ الطفل أشده ، أن يوكلوا أصراً توجيهه في النواحي المختلفة ، إلى ما تسمى جهات الاختصاص : فيسلمونه إلى رجال العلم لكي يعلموه الحقائق والفنون ، وإلى رجال الصحة لكي يقووا جسمه ويحموه من الأمراض ، وإلى رجال الدين لكي يغذوا الروح الدينية ويحسنوا توجيهها . والحق ياسيدتى إن هؤلاء المختصين لا يمكن أن ينفعه ، ما لم تكن الأم أولاً قد أنبتت طفلها نباتاً حسناً في هذه النواحي ، فالأم هي التي تفرس البذور التي يراها فيما بعد هؤلاء المختصون ، والأم هي التي تواصل بذل العناية إلى النبات المترعرع فتشده أزراً هؤلاء المختصين وتعينهم في مهمتهم . ولقد صدق جان جاك روسو إذ قال : « إن الرجال سيكونون دائماً كما يطيب للنساء أن يكونوا ، فإذا أردنا أن يكونوا عظماء وفضلاء فلنعلم النساء ماهية العظمة والفضيلة .

وينطبق هذا بنوع خاص على تعهد الروح الدينية في الطفل ،
فإن العاطفة الدينية لا تتكون في الفصل ، ولا تترعرع بالدرس
والكلام ، بل يعتمد تكوينها على اكتشاف الينايع النفسية التي
تؤسس عليها ، وعلى توجيه هذه الينايع منذ حضانة الطفل ،
توجيها مناسباً لمميزات الطفل في كل طور من أطوار نموه .

وقد تحدثت إليك ياسيدتي في الحديث الأول من هذه
السلسلة عن ثلاثة ينايع نفسية هامة ، تظهر في مرحلتى الحضانة
والطفولة ، وتتقود الطفل إلى المولى عز وجل ، كما لا يستطيع
إنسان أن يقوده .

الأول : هو سعيه المتحمس إلى اكتشاف هذا العالم الجديد
عليه ، وتطلعه إلى فهم أسراره .

والثانى : هو ابتهاجه الرقيق بجمال الطبيعة واستمتاعه
انخالص بنعم الله .

والثالث : هو إقباله على التعبير عن نفسه بصراحة ، وتدقيقه
حناناً وثقة إلى من يحنو عليه . وقد أشرت كيف يمكن الأم أن
تعهد هذه الينايع في المراحل الأولى .

واليوم أتناول كيفية توجيهها في مرحلة النعومة ، أي بين السنة الثامنة والثانية عشرة من العمر ، طبعاً أن الغلام الذي أصبح ينظم الأشياء بطريقة علمية ، ويقتبس الحقائق منها بطريقة منطقية ، ويستطيع التعبير عن أفكاره بعبارات معقولة ، الغلام الذي أخذ يلعب لعبة رياضية ويفهم قواعدها ، وينتمى إلى جماعة ويخضع لنظامها ، الغلام الذي اكتسب مهارة في تشكيل الأشياء وحنفاً في تركيب الآلات ، طبعاً أن هذا الغلام يحتاج إلى أن توجهه البنائين الثلاثة السابقة الذكر بطريقة تتفق ومميزات النمو التي يجتازها .

ولأتناول الأساس النفساني الأول وهو الميل للاطلاع :
لن أتحدث عن الطريقة التي يمكن أن تتبع في تدريس العلوم في المدارس الابتدائية ، لكي تكون العلوم سبيلاً إلى الله ، فكم من فرصة ذهبية يمتلكها مدرس العلوم لكي يغمر قلوب التلاميذ والتمهيدات إيماناً بالمولى عز وجل . ولكني أقصر على التحدث عن مساهمة الأم في هذا المضمار .

لقد كنت ياسيدتي تجيبين على أسئلة طفلك المتدفقة ،

وكنت تراقبينه وهو ينظر ويامس ، وهو يبحث وينقب ،
وكنت تتركينه حرأ في بحته وتنقيه الأولى المتحمس المتقطع ،
ولكن ابنك وبنتك الآن ، وقد بلغا الثامنة أو التاسعة ، يتطوران
في بحثهما . فهما يتعاملان البحث بطريقة منظمة متواصلة ، وهما
يدققان النظر في المشاهدات والتأجج ، ولذا ينبغى ياسيدتى أن
توفرى لهما الفرصة لمواصلة البحث والتدقيق داخل المنزل
وخارجه . ينبغى أن تشجعي مجهوداتهما العامة المتواصلة مهما
صغرت ، وأن تحترى اكتشافاتهما وآراءهما ، وأن تشاركيهما
التمعجب أمام آيات الله ومخلوقاته .

أما داخل المنزل فيمكنك مساعدتهم على تربية الدواجن
والحيوانات الأليفة ، وزراعة النباتات العادية والنادرة ومشاهدة
نموها وتوالدها ، وأما خارج المنزل ، فيمكنك أن تصحبهم أيام
الجمعة أو أيام العيد أو في عطلة الصيف إلى المزارع المصرية الجميلة ،
لكي يشاهدوا الأعمال الزراعية المختلفة في الفصول المتتابعة ، ولكي
يمارسوا فيها ما يلائم قدرتهم من أعمال كالحلب وعمل الزبد والجبن
والعجين والخبز ، أو إلى شاطئ البحر لكي تهيأ لهم الفرصة

التنقيب عن الحياة المائية ، وملاحظة الجو ، والسماء بسحبها نهاراً
وتفقد نجومها ليلاً . . . الخ

وقد يتساءل سائل : وما علاقة كل هذا بالدين ؟

للدين علاقة وثيقة بالعلم ، ومن المشاهد أن المجتمع الذي لا يقدر
هذه العلاقة حق قدرها يذبل فيه العلم والدين على السواء .
فالدين يتضمن عناصر أساسية ثلاثة :

الحق ، والجمال ، والتعاطف والتراحم .

أما المعلوم فغايتها الحق . ولا يتجلى الحق إلا بتفاعل الفكر
الإنساني مع العالم الطبيعي ومحتوياته . وكلما أتقن الإنسان
الطرق العلمية التي يدرس بها العالم ، وكلما أعمل تفكيره ، كشف
عن نظام الكون وبدائع الخليقة ، وكلما تعمق في العلم ورسخ
فيه ، بهرته عظمة الطبيعة وأخضعه إحكام نظامها ، فيتولاه
الخشوع والإجلال - خشوع وإجلال لا يقلان عن خشوع الأنبياء
وإجلالهم أمام وجه الله . ومن يقرأ القرآن الكريم ويستوعب
بيناته ، يدرك المنزلة السامية التي أنزلها الله أولى العلم ، يقول تعالى :
« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » . ويقول :

« وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب » صدق الله العظيم .

وهكذا ترين يا سيدتي أن سبيلا من سبل البشر إلى الله ، أى إلى الحق ، هو العلم . وهو سبيل من سبل أطفالنا إلى الله ، والحق هو العلم ، لا العلم الذى يلقى إلى التلاميذ كلاماً وألفاظاً ، بل العلم الذى يكشفونه بأنفسهم بالبحث العلمى المنظم ، ويتحققون من نتائجه بالخبرة والمشاهدة الدقيقة المتواصلة — العلم الذى يشغف به الطفل منذ فجر حياته ، ويتشرب به على يدي أمّ مستنيرة منذ يقظة تفكيره .

وأنت يا سيدتي تستطيعين المساهمة فى هذا المضمار — أى فى تعهد الروح الدينية فى أبنائك ، عن طريق ميلهم إلى البحث والاكتشاف ، كلُّ وفق السن التى بلغها . ولا تقولى : « إننى لست إحصائية فى العلوم فكيف أوجههم فيها ؟ »

ليس المطلوب أن تكونى إحصائية ، ويكفى أن تكونى مطلعة ، وأن توصلى ثقافتك العامية دون انقطاع ، وأهم من هذا هو أن تمدى أبنائك وبناتك بالفرص المواتية للبحث العلمى والتفكير ،

وأن تزودهم بالمجلات العلمية ، وأن تشجعي مجهوداتهم ، وأن
تحترمي آراءهم ، وأن تشاركيهم تعجبهم وخشوعهم أمام أسرار
الطبيعة ، وأتركي الباقي لذكائهم النامي وحيويتهم المتدفقة ،
والعلوم متشعبة الفروع كما تعلمين : فمنها ما يختص بالإنسان
والحيوان والنبات ، ومنها ما يتناول طبقات الأرض وموادها ،
ومنها ما يسبح في فلكها شمسها وقمرها ونجومها ، إلى غير ذلك
عما نعلم وما لا نعلم ، ولكن جميعها تكشف النقاب عن تنسيق
محكم ونظام عجيب ، وحكمة بالغة ، ومنافع جمة ، وكلها تؤدي إلى
الحق - إلى الله .

obeykandl.com

الجمال سبيل الى الله

ذكرت في الحديث الأول يا سيدتي ، أن العاطفة الدينية تقوم على ثلاثة عناصر أساسية : الحق ، والجمال ، والتراجم . وقلت : إن من يحسن ملاحظة الأطفال الصغار ، يكشف عن ينابيع هذه المبادئ الثلاثة في نفوسهم . واقترحت كيفية تعهدها بالتنمية والتوجيه خلال مرحلة الحضانة والطفولة .

وتناولت في الحديث الثاني كيف تتعهد الأم الروح الدينية في طفلها بين الثامنة والثانية عشرة من العمر . وخصصت بالذكر ميل البنت والولد في هذه المرحلة إلى البحث العلمي المنظم ، وكيف يمكن الأم أن تشجع تطلعهما إلى معرفة الحقائق ، ولما ذا يجدر بها أن تفعل ذلك

واليوم أتناول أساساً من أسس العاطفة الدينية ، وهو الجمال ولنتأمل معاً يا سيدتي كيف يمكن أن تغذي النزعة الجمالية

في البنت والولد بين الثامنة والثانية عشرة من العمر . وكيف
يمكن أن يكون هذا الشعور دعامة من دعائم الدين الصحيح .
لاحظت ياسيدتي كيف كان طفلك الصغير مرهف الحس
بجمال الطبيعة ؛ كيف كان يهيم على وجهه بين أحضانها إذا تركته
حرا طليقاً ، وكيف كان يهبر عن نشوته بالغناء والرقص والقفز
والجرى ووابل من النشاط الحر المتدفق .

أما وقد بلغ ابنك وابنتك الثامنة أو التاسعة ، فلقد تركت
نشوتهما بالطبيعة وتجددت . فإذا ذهبا إلى الحديقة فلكى يلعبان
لعبة معينة مع الأقران ، وإذا رحلا إلى الصحراء فلكى يتسلقا
الهرم ، أو يكشفان مقابر القدماء ، أو يجمعا الأحجار النادرة —
وإذا سافرا إلى المزارع المصرية الجميلة فلكى يرحا بحمار «حساو»
أو يسوقا «النورج» في ضوء القمر — وإذا حظيا بالمشول بين
يدى البحر فلكى يسبحا في لججه ويصطادا أسماكاً ويتفقدان
قواقع وأحياءه — وإذا انطلقا إلى جبل المقطم أو جبل عتاقة ،
فلكى يتسلقا قمته ويقتحما عقباته ، أي إن البنت والولد يخرجان
إلى الطبيعة في عهد الفلومة لكي يقوموا بعمل معين يحتاج إلى

مهارة معينة . ولكن ليس معنى ذلك أنهما لا يشمران بجمال الطبيعة : فهما يشمران بجمال الحدائق ، وهما ينطلقان في أرجائها . ويستوعبان جمال الصحراء وهما ينقبان عن أسرارها ، ويتذوقان عذوبة الريف وهما يمارسان أعماله ويداعبان حيوانه ، ويستجيبان لعظمة البحر وهما يسبحان في لججه ، ويهتفان لجلال الجبل وهما يقتحمان سفوحه .

وهكذا إذا اقترحت ياسيدتي أن تأخذني، أولادك إلى الحدائق والصحراء والريف والبحر والجبل ، فلا تأخذهم لكى تملئ آذانهم حديثاً عن جمالها ، فالكلام لا يجدى فى هذه المواقف ، بل قد يشوه رونقها ويمسح جمالها ، ولكن خذهم إلى الطبيعة ، ودعهم أحراراً يمارسون النشاط اللائق بسنهم ، ودعى جمال المخلوقات يتسرب عن هذا الطريق إلى نفوسهم ، وروعة الكون تتغلغل فى قلوبهم ، فتملاً هذه القلوب الناشئة إيماناً بالله الذى خلق الجمال وهو يحب الجمال .

ولا يقتصر الجمال على الطبيعة ، فهناك أوجه جمالية أخرى تهتم الأم الحساسة ذات الذوق الرفيع على توفيرها لبنساتها

وأبنائها، لدى الإنسان تراث رائع من الأدب والشعر والتصوير والنحت والموسيقى والرقص، يمكن أن نختار منها ما يناسب المرحلة التي نحن بصددتها اليوم، أي بين الثامنة والثانية عشرة، وما يناسب الحياة المنزلية بنوع خاص.

فبعد أن يكون ابنك أو ابنتك يا سيدي، قد قضى اليوم المدرسي يقده زناد الفكر، وبعد أن يكون قد تمتع بالرياضة في ناديك، يمكن أن تجلسي معه في دعة وهدوء إلى قطعة موسيقية جميلة (مثل مقطوعة لبتروفن تسمى « Pastorale » على سبيل المثال) فيتذوق الولد والبنت جمالها، ويوقظ في نفسيهما ذلك الوجدان الرائع الذي ألهم النايفة الخالد، وعليك يا سيدي تقع مهمة اختيار القطع الموسيقية الجميلة - السليمة الذوق التي تجعل النفس تسمو إلى الله.

كذلك تستطيعين يا سيدي أن تقصي على أبنائك وبناتك قصة حياة الرسل والأنبياء، أو تقرئها عليهم من مصادر موثوق بها، سلسلة اللغة سهلة التعبير كقصة حياة محمد عليه الصلاة والسلام، وقصة حياة عيسى عليه السلام. وهذه فوق أنها فرصة يتذوقون فيها جمال سيرة الرسل والأنبياء، هي أيضاً فرصة لكي تفرس

في نفوس النشء توافق الأديان واتحاد أهدافها ، وأن الله سبحانه
وتعالى أوصى بإجلال الرسل والأنبياء جميعاً . ولا يتفق مع
الروح الدينية العالية أن نعلم الناشئين في الأسر تعليماً دينياً زائفاً .
فنعلمهم احترام دينهم على حساب دين الغير ، فلا يتفق وروح
الإسلام العالية أن نعلم الطفل المسلم وهو لا يزال غصباً أن يحتقر
الطفل المسيحي . كما يتفق وروح المسيحية السمحاء ان نعلم الطفل
المسيحي ان يحذر من الطفل المسلم . وهكذا نسبب حزازات بين
التلاميذ ، تمرقل نفوسهم الخلق وسلامة تفكيرهم ، وتقود أبناء الأمة
الواحدة إلى التفرقة والتشاحن والأجدر بنا يا سيدتي - نحن الأمهات
المصريات ، سواء أكننا مسلمات أم مسيحيات ، أن نعمل على
تدعيم روح الألفة والاتحاد بين أفراد الشعب المصري . فالإتحاد
من الإيمان . يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله إخواناً » صدق الله العظيم .
وهكذا يا سيدتي ترين أن الاستمتاع بالجمال المنبعث من
الطبيعة على النحو الذي أسلفناه لهذه المرحلة ، وتذوق الجمال الأدبي

والفني المتجلى في ابتكارات النفس البشرية الملهمة كما أوردنا ،
يملاً قلوب الناشئة إيماناً بالله الذي خلق فأبدع ، وألهم النفس
البشرية فخلقت في سماء الفن الرفيع .

وجنباً إلى جنب مع ما تقدم ، ينبغى أن تنظمى ياسيدتى
لأبنائك وبناتك فرصاً كثيرة للتعبير عما يختلج في قوادهم من
وجدانات ، وما يتفتح في نفوسهم من رغبات وأمانى وعواطف .
ويكون هذا التعبير بمختلف الطرق : فبالصصال تارة وبالموسيقى تارة
أخرى ، بالتلوين مرة وبالكتابة أو الكلام أو التمثيل مرة أخرى ،
بتنسيق حوض زرع في الحديقة طوراً وبالحرركات التوقيعية تارة .
وليكن البنات والبنون أحراراً في اختيار المادة التي يعبرون
بها عن وجدانهم ، أحراراً في طريقة تعبيرهم . ولنسمح لهم
بالوقت الكافي للاسترسال في الخلق والابتكار ، ولنقتنص
الفرص السانحة لذلك ولنتجنب إجبارهم ، والفرص السانحة كثيرة
تختلف من طفل إلى طفل ، وفقاً لما يثير وجدانه ويستفز مشاعره ،
فمنهم من يجب أن يقص على والدته روعة الرحلة التي قام بها مع
مدرسته ، أو عن وقع أول درس في كرة القدم . فلتنصت إليه

الأم ولتشاركه شعوره . ومنهم من يولع بترتيب الأحجار التي
لقطها من الصحراء ، أو تنظيم الأصداف التي انتقاها على الشاطئ
ويود أن يصنع لها مكاناً يصونها . فلتتمده الأم بالمواد اللازمة ،
ومنهم من يعبر بالرسم والتلوين عن رغبات وأفكار ومشاكل
يعجز لسانهم الصغير عن وصفها بالكلام .

فلاحظي طفلك ياسيدي ، تهتدي إلى وسيلته المحبوبة
للتعبير عن وجدانه وعواطفه وأفكاره ، ولابتكار شيء جميل
بالمواد المختلفة .

وأكاد أسمعك تقولين: وهل تعتبر أشغال الأطفال ابتكارات
فنية ذات قيمة وجمال؟ وما علاقة هذا بتعهد الروح الدينية فيهم؟
أجيب على السؤال الأول باختصار: كانت منتجات الأطفال
وتعبيراتهم لا تسترعى انتباه المربين إلى عهد قريب ، ثم تبدل
الحال لما توافر على دراستها دراسة جدية علماء النفس والمربون
والفنانون ، فاكتشفوا أنها مرآة لشخصية الطفل النامية برغباتها
وأفكارها ومشاكلها ، إذ يجد الطفل أن التمثيل والرقص
والتلوين والرسم والبناء والتشكيل أيسر منالاً للتعبير عن نفسه

من الكتابة والكلام . وفضلا عن قيمتها العلمية قد تذوق
الفنانون من منتجات الأطفال الفنية جمالا خاصا بها - جمال
البراعة والصراحة ، جمال الصدق والإخلاص في التعبير عما يخالج
النفس البشرية الناشئة .

أما عن علاقة ابتكارات الطفل الفنية بتعهد الروح الدينية
فيه فأقول : إننا في مجتمعنا هذا نبحث عن الله في كل شيء
إلا في أنفسنا ، ولعل الله سبحانه وتعالى لم يركز سر الوجود في
شيء أكثر مما ركزه في النفس البشرية الفنية الأعماق -
إن تعبيرات الطفل ومنتجاته الفنية تقوده إلى تعرف نفسه تدريجيا ،
يتعرف قدراته فيثق بنفسه ، ويتعرف حدوده فيعمل على أن يتقدم ،
ويتعرف مشاكلة فتوجهه أمه نحو حلها ، ويتعرف أمانيه فترشده
أمه إلى ما يمكن أن يثابر على تحقيقه وما لا يمكن منها ، فتوضح أمانينا
وآمالنا بيننا وبين أنفسنا بالإنتاج الفني ، وبيننا وبين الله في
الصلاة ، أولى خطوات العمل المجدى لتحقيقها ، يقول تعالى :
(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) صدق الله العظيم .

كيف زرعى التراحم والتأخى فى النفس

بدأت ياسيدتى أتحذث إليك عن كيفية تعهد الروح الدينية فى الناشئين ، وذكرت أنى أقصد بالروح الدينية تلك العاطفة التى تتكون تدريجياً فى نفوسنا ، وتجعلنا نشعر بعظمة نظام الكون ، ونهتز لجمال الطبيعة ونتذوق نعم الله ، وتقف خشوعاً وإجلالاً أمام أسرار الوجود ونفيض رحمة وإحساناً على غيرنا من مخلوقات الله . هذه ياسيدتى هى الروح الدينية التى نود تعهدنا فى أطفالنا . ثم أشرت إلى أن أصول هذه العاطفة موجودة فى النفس البشرية ، وأنها تتجلى منذ الطفولة الأولى فى صور شتى : فى زرة الطفل الفطرية إلى استطلاع أسرار هذا العالم والبحث عن طبيعة الأشياء ، فى ابتهاجه بجمال الطبيعة وتعبيره عن هذا الجمال بمختلف أنواع النشاط الابتكارى ، فى حبه البرىء لمن يحنو عليه ونزاهته فى التعبير عن شعوره . وتناولت بعد ذلك كيف يتسنى لك ياسيدتى أن توجهى زرة طفلك إلى اكتشاف

أسرار العالم ، وتتهيئ له الفرص للبحث عن طبيعة الأشياء ، وكيف يمكنه أن يصل إلى الله عن طريق الحق . إذ أن الحق هو الله . وأخيراً عالجت قدرة الطفل على تذوق جمال الطبيعة والفنون ، وقدرته على إنتاج الجمال ، وكيف يمكنك أن ترشديه إلى تنمية هذه القدرات حتى يشعر بوجود الله في كل ما هو جميل .

واليوم أتناول الدعامة الثالثة للعاطفة الدينية : أي التراحم والتعاطف . ولعلك تتساءلين يا سيدتي ما الذي أقصده بالتراحم والتعاطف . أقصد ذلك الشعور الذي يجعل الإنسان يأنس إلى أخيه الإنسان ، ويحب له ما يحبه لنفسه ، ويسعى إلى خدمته كما يسعى إلى خدمة نفسه ، ويتعاون معه فيما يؤدي إلى خير المجتمع الإنساني . أقصد ذلك الشعور الذي يدفعنا إلى الشفقة على الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، ومواساة المكروب . أقصد الشعور الذي يدعونا إلى المغفرة والتفاهم والإحسان . يقول تعالى :
(سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ويقول : (ولو

كنت فظاً غليظ القلب لا تفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الأمر) ويقول: (وبالوالدين إحساناً وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل) صدق الله العظيم .

هذه بعض من آيات القرآن ، يرشدنا الله فيها إلى التنحي
عن القسوة وإلى تعمير قلوبنا بالمحبة والرحمة والإحسان والمفولة لإزاء
الوالدين وذوي القربى فحسب ، بل نحو كل من يمت إلينا بصلة
اجتماعية بعيدة كانت أو قريبة، ونحو المحتاجين إلى الرحمة والإحسان
كاليتامى والمساكين . وها هو ذا الإنجيل يضع محبة الإنسان
لأخيه الإنسان من الأسس الأولى للدين المسيحي بعد عبادة الله ،
وما من كتاب سماوى إلا وجعل الإيمان بالله موقوفاً على محبة
الإنسانية والسعى لما فيه خيرها .

وليست التعاليم السماوية بمثابة قوانين فرضت علينا اعتباراً
بل هي توكيد وتوجيه لما هو موجود بالفطرة في نفوسنا من
نزعات وميول، ولعلك لاحظت طفلك بعناية ياسيدي ، واغتنبت
بجبه المتدفق وحنانه الرقيق استجابة لحبك وحنانك . هذا الحب

المشرق من نفس الطفل الطبيعي السليم على من يوليه المطف والحنان ، هذه النزعة الفطرية إلى أن يحب غيره ويشعر أنه محبوب هي أساس عاطفة التراحم والتآخي بين الباقين . فإذا حرصنا نحن الأمهات على تعهد هذه النزعة الفطرية في الطفل ، وعلى تنميتها وتوجيهها الوجهة الاجتماعية الإنسانية المثمرة ، ضمنا وضمن المجتمع البشري معنا أن يسود التفاهم والمودة والإحسان بين أفراد المجتمع .

وإذا كنا مخلصين في دعوانا هذه ، فيجدر بنا أن تنسأل : كيف نغني بهذه النزعة الفطرية في أطفالنا ؟ وما هي الطريقة العملية التي ينبغي أن تتبعها لكي يتحقق هدفنا ، أي لكي يسود الود والتفاهم والسلام بين أفراد المجتمع ؟

ولا توجد طريقة فريدة تفرضها على كل أم ، ولكن توجد مبادئ عامة أساسية تسترشد بها الأم في تأدية مهمتها ، وتكييفها وفقا لشخصيتها وظروفها . من هذه المبادئ أذكر في هذا الحديث ما هو خاص بمساهمة الأسرة في تكوين عاطفة التراحم في الناشئين :

أولاً : ينبغي أن يتمتع الطفل في أسرته بحب هادئ ثابت مستنير .

هادئ : أى لا تشوبه الانفعالات القوية المزعجة . ثابت : أى لا يكون الحب عرضة للتقلب والتناقض فيما مل الطفل تارة بحنان وتارة بقسوة أو يحرم من الحنان فجأة في فترة من فترات حياته : ومستنيرة : أى لا يكون حب الوالدين خائفاً لميل الطفل إلى النمو والاستقلال . فالطفل الذى يترعرع بين أحضان هذا النوع من الحب ، يفيض هو بدوره حباً وحناناً على ذويه ثم على من يحيطون به في البيئات المختلفة بعد ذلك . فالحب ياسيدتى علاقة متبادلة بين نفسين أو أكثر ، يوقظ الحب في الطفل شعوره بأنه محبوب ، كما يوقظ النبات في البذرة استجابةً البذرة لمفعول التربة التى تزرع فيها

ثانياً : كل أم طبيعية تفهم ما سبق وتقدره . ولكن هناك حاجة أساسية في نفس الطفل لا نعيرها اهتماماً كافياً في أسرنا هى احتياج الطفل إلى الشعور بالأمن والأطمئنان . ولعلك

تقولين ياسيدتي : ماذا عسى الطفل أن يتطلع إلى الاطمئنان وهو مكفول في الأسرة : أبوه قوام على حاجاته وأمه ساهرة على راحته وباله خال من هموم الكبار ومتاعبهم .

ليس الكبار ياسيدتي هم وحدهم الذين ينفردون بمواجهة المشاكل . فللاطفال مشاكل أيضاً . مهما صغرت في نظرنا فهي في نظره مهام ذات شأن : فعليه أن يتعرف على هذا العالم الجديد المحيط به وأن يتكيف له ويطمئن إليه ، وعليه أن ينمو ويعبر عن قدراته وشخصيته حتى يثق بقدرته ويطمئن إلى نفسه ، وعليه أن يتعرف على هؤلاء العمالقة الذين نسميهم « الكبار » وأن يتفقد عاداتهم ومبادئهم ومجتمعهم وأن يطمئن إلى مركزه بينهم فينبغي أن تهيء له الفرص لكي يؤدي هذه المهام الثلاث بحرية حكيمة . فتتظمى له الفرصة لكي يبحث وينقب في الطبيعة ، ولكي يلعب بمختلف الألعاب فيخبر قدراته وينمي شخصيته ، ولكي يتعامل مع الكبار والصغار في مواقف اجتماعية متنوعة على أساس الثقة المتبادلة والاحترام المتبادل . هكذا يطمئن الطفل

إلى الطيبة وإلى نفسه وإلى المجتمع . والطفل المطمئن الواثق من نفسه صربية لا يمكن أن ينبعث منه إلا المحبة والرحمة والإحسان .

ثالثا : ينبغي أن تتاح للطفل فرصة لكي يتدرب على التعامل الاجتماعي في الأسرة أولا ، حيث أن بذور العلاقات الاجتماعية الطيبة أي : التأخي والتعاون واحترام شخصية الفرد ، تفرس أول ما تفرس في الأسرة خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الصغار . ولا تزال تنمو وتترعرع في الجو العائلي حتى يذهب الطفل إلى المدرسة ، فتواصل نموها إذا ما وجدت التشجيع والتوجيه الملائم من المدرسين ، ثم تزدهر في الجامعة أو النادي أو النقابة تحت الظروف الملائمة حتى تصل إلى نضجها في الحياة النيابية الوطنية ثم في الهيئات النيابية الدولية . وقد يبدو ياسيدتي أن البون شاسع بين الحياة الاجتماعية العائلية وبين الحياة الاجتماعية النيابية . ومع ذلك فأساس العلاقات واحد في المجتمعين ، أساسه التوازن بين الأخذ والعطاء ، بين حقوق الأفراد وواجباتهم ، بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموعة .

ولنتناول أولاً مجتمع الأسرة . ففيه نوعان من العلاقات :
علاقات غير متكافئة وأخرى متكافئة . أما الأولى فتوجد بين
الوالدين والطفل . وعدم التكافؤ ظاهر بين الفريقين فالمرءى بالغ
ناضج والطفل ناشئ ، غض ، المرءى يوجه ويصبر ، والطفل يجد
ويحاول ، المرءى يغضب والطفل يخاف . ولكن توجد علاقة
ينبغى أن تكون متبادلة متساوية بين الوالدين والطفل إذا رغبتنا
في أن نضع أساساً سليماً لعلاقات الطفل الاجتماعية المستقبلية :
وهى علاقة الاحترام المتبادلة بين الوالدين والطفل علاقة التقدير
المتبادل بينهما على الرغم من عدم التكافؤ بين الفريقين . تحدثت
فيما سبق عن الحب المتبادل بين الوالدين والطفل ، والآن أذكر
عاملاً متميزاً هو الاحترام المتبادل بين الوالدين والطفل . وأؤكد
هذه النقطة لأننا اعتدنا أن تطالب الاحترام من الأبناء نحو
والديهم وهذا حيوى . ولكننا لم ندرك ضرورة احترام الوالدين
للطفل ولا أهمية ذلك في تدعيم احترام الطفل لغيره من النفوس
البشرية . فالطفل يحترم شخصية والديه المتكاملة ، ويدعن لما

تثيرة في نفسه من الإجلال وما توقظه في ضميره من الإلهام .
والوالدان الحكيمان يحترمان شخصية الطفل المتفتحة ويتطلعان
إلى ازدهار ما يكمن فيها من قدرات ومواهب تسبح بعظمة
الخالق . فإذا حظى الطفل - فضلاً عن حب والديه - باحترامهما
وتقديرهما له ، وإذا أحس بهذا الاحترام وذلك التقدير في معاملتهما
له وكلامهما معه ، كان لذلك أطيّب الأثر في علاقاته الاجتماعية
المستقبلية خارج الأسرة ، إذا ما وجد في موقف يخول له من
السلطة والنفوذ ما كان لوالديه عليه في الأسرة . في مثل هذا
الموقف يعيد الطفل نفس الجو الذي كان يسود علاقاته بوالديه :
جو تفاهم وتسامح وتقدير ، أو جو تشاحن وعناد وضمينة .
إذ لا يمكن أن يحترم غيره من الأفراد ، إلا من كان يؤمن بقيمة
النفس البشرية ، ولا يؤمن بقيمة النفس البشرية ، إلا من حظى
باحترام شخصيته منذ نشأته الأولى .

رابعاً : وأخيراً مما يؤدي إلى تكوين عاطفة التراحم في
نفس الطفل أن يجد من والديه مثلاً حياً مفصلاً عن معنى
التراحم في أسمى معانيه سواء في معاملتهما الواحد للآخر أو في

معاملة الآخرين أى إذا لمس معنى التفاهم والتسامح والاحترام
والتقدير فى علاقة الوالدين . وإذا لمس معنى الرحمة والإحسان
والتقدير فى معاملتهما للغير كالأقارب والأصدقاء والجيران والخدم .
هذا هو الأساس الذى تضعينه أنت ياسيدتى فى نفس
الطفل . ولعلك تشعرين بخطورة مهمتك وعظمتها عندما تعلمين
أن كل من يساهم بعد ذلك فى تنمية عاطفة التراحم والتأخى
والتعاون فى طفلك ، إنما ينمى النبات الذى تعهدته أنت
منذ نشأته الأولى .

حب الإنسانية

العقاد الأول للتربية الدينية

لو أن شخصاً شرع يصف لنا الهواء الذي نتنفسه في كل لحظة ، لتمنينا أن يوفر مجهوده . فمن منا لا يعرف الهواء ؟! هكنا أشعر اليوم ياسيدتي وأنا أحدثك عن عاطفة الحب . فمن منا لم يشعر بالحب ؟! وهل تستطيع أن نحيا بدونه ؟ ولكن كما أننا نفضل قيمة الهواء في حياتنا اليومية ، ولا يشتر وعينا به إلا إذا هب حاراً لاخفاً أو صفر بارداً قارصاً ، كذلك نحن نفضل قيمة الحب في حياتنا اليومية ، ولا يشتر وعينا به إلا إذا تجلى في صورة رائعة كحب مصطفى كامل ابلاده ، أو حب سيدنا عيسى للإنسانية ، أو إذا مرض واعتل فارتقلب بغضاً مهلكاً كغض « نيرون » الذي أحرق روما ووقف يستسيغ هذه المأساة . ومن مظاهر عدم اكترائنا بعاطفة الحب أنك تسمعين

الناس من حوالك يا سيدتي يدعون الله فماذا يتمنون ؟ الأغلبية
المعظمى تتمنى المال ، ويفضل نفر قليل نعمة الصحة ، وقلمنا
تسمعين من يتمنى حياة ينيرها الحب : الحب يقدقه على الناس
ويحظى به من الناس . هل قابلت أما تعلم طفلها الصغير أن يقول :
ربي عمر قلبي بالحب لبني البشر ، واجعلني موضع حبهم ورعايتهم ؟
لذلك أحدثك عن عاطفة الحب اليوم أحدثك عن الحب
كالمعاد الأول للتربية الدينية السليمة سمه ماشئت . حب الله ،
حب الخير ، حب الإنسانية . فأساسه ، كما أشرت فيما سبق من
أحاديث هذه السلسلة ، أساسه نزعة الحب التي تنزع في نفس
الطفل الصغير ، وينبعت نورها على من يرعى تربيته الأولى في
رفق وعلم ، فيشيع الحنان المتبادل في الأسرة بأجلى مظاهره
وأجملها . وليس الحنان هو مظهره الوحيد ، وإنما ودان أو كدمظهرين
آخرين للحب وهما : الاحترام المتبادل والتعاون لمصلحة المجموعة
التي يربطها الحب . فالحب مهما تعددت صوره تبادل في الحنان
والاحترام والتعاون للمصلحة العامة . ينشأ ويترعرع في الأسرة
بين الوالدين وأطفالهما ، وتمتد فروعه إلى المدرسة والنوادي ،

وتظهر ثماره في المجتمع والحياة العملية . كذلك أشرت إلى العوامل التي ينبغي أن تتوفر في بيئة الطفل الأولى ، أي في أسرته ، لكي يستطيع أن يحب الناس ويحترمهم ويتعاون معهم في المجتمع . وبينت عمق الأثر الذي تتركه إحداث هذه السنوات الأولى في صوغ علاقاته الاجتماعية فيما بعد .

ولنتأمل الآن في كيف تنمي علاقات الطفل الودية التعاونية عند ما يخرج من نطاق الأسرة ، ويصبح عضواً في مجتمعات مختلفة كالمدرس والكلية والنادي ومضمار العمل . وكيف يمكنك أنت يا سيدتي كأم أو مربية ، أن تساهمي في هذا التوجيه . وكيف يكون تكوين عاطفة حب الإنسانية واحترام أفرادها والتعاون معهم لمصلحة المجتمع ، أساس التربية الدينية الحقة .

يبدأ الطفل احتكاكه بالمجتمع الأكبر عن طريق المدرسة . يقابل هناك أقراناً من سنه ، فيحاول التعرف عليهم والاندماج معهم في شتى أنواع النشاط . ويجد في المدرسين والمدرسات مصدراً للتوجيه والإرشاد ، يكمل توجيه الوالدين من جهة ، ويختلف عنه من جهة أخرى . وعلى هيئة التدريس تقع مهمة

تنظيم الحياة المدرسية بحيث لا تنمى تفكير التلاميذ فحسب بل تعطى لهم أيضاً فرصاً متنوعة للنشاط الاجتماعي على أساس من الود والاحترام والتعاون لمصاحبة المدرسة . فكيف يمكنك أنت ياسيدتي أن تتعاوني مع المدرسة على تنشئة أطفالك على تبادل المودة والاحترام والتعاون مع زملائهم ومدرسيهم بالمدرسة ؟ إن دورك جليل ياسيدتي . ولا أبالغ إذا قلت أنك أنت التي زودت إبنك وبناتك برأس المال المعنوي الذي سوف يستثمره في المدرسة . إن الحب الذي حظى به إبنك في كنف والديه ، والأطمئنان الذي وفرته له في حياته المنزلية ، والاحترام الذي بذلته في معاملتك ، والتعاون الذي ساد علاقاته بإعطاء الأسرة . كل هذا سوف ينقله طفلك من البيئة المنزلية إلى البيئة المدرسية . سوف ينقل حبه لوالديه إلى مدرسيه وأقرانه . سوف ينشر الأطمئنان الذي عمر قلبه إلى جو الفصل والمدرسة . سوف يواصل التعاون الذي مارسه في أسرته في نشاطه التعليمي والرياضي .

ولا تظني ياسيدتي أنك أمددت طفلك برأس المال فحسب .

أنك لا تزالين وهو في المدرسة عاملاً حيويًا في توجيه علاقاته الاجتماعية بالتعاون مع المدرسة . فأنت تأمين مثلًا أن إبنك أو بنتك يتوق إلى الاجتماع بزملائه والاشتراك معهم في شتى أنواع النشاط ، وأن المدرسة الحديثة ترضى هذه النزعة بشتى الطرق . وتستطيعين أنت أيضاً المساهمة في إرضائهم بتنظيم حفلات منزلية صغيرة لأولادك ، بمناسبة أعياد الميلاد أو الأعياد القومية ، يدعون فيها بعض زملائهم من المدرسة ، وينظمون تحت رعايتك أنواع النشاط التي يقضون بها وقتاً طيباً . ويمكن أن تكون هذه الحفلات في المنزل مرة وفي النادي أخرى وعلى هيئة رحلة مشوقة تارة . وتتناوب الأسر في إقامتها . وبذلك تتوطد أواصر المودة بين التلاميذ ، ويتسع أفقهم ، ويتعاملون كيف يكيفون أنفسهم لبيئات متنوعة ، وكيف يكونون ضيوفاً ومضيفين ، هذه هي الفرص التي يتعلم فيها أبناءنا وبناتنا آداب المعاملة ، وكيفية التحدث ، واللياقة والكياسة ، هذه الصفات الحيوية في تربية أبناءنا التي لا يمكن أن يتعلموها عن طريق الدروس والوعظ .

كذلك يمكنك أن تلي دعوة المدارس النموذجية إلى الاشتراك في إحياء يوم الآباء والأمهات بالمدرسة لتدعيم التفاهم والتعاون بين المنزل والمدرسة ، وبذلك تفرس بذور الوحدة الاجتماعية القومية التي نئن من ضعفها في مجتمعا الحالى .

ويا حبذا لو أمكن الأسرة الاشتراك في نادى رياضى اجتماعى حتى يستطيع البنون والبنات ممارسة الألعاب الرياضية خارج المدرسة مع أصدقائهم تحت رعاية والديهم ، وحتى يحددوا خارج المدرسة مجتمعا أوسع من مجتمع الأسرة يرضون فيه نزعتهن الاجتماعية . فيؤدون بعض الخدمات ويتمتعون ببعض الحقوق ويشعرون أنهم جميعا يتعاونون لإعلاء شأن نادىهم ، فالتدرج من مجتمع الأسرة إلى مجتمع المدرسة إلى مجتمع النادى ، يعطى البنات والولد فرصة لممارسة النظم التي تقوم عليها المجتمعات ، فرصة لفهم معنى الحقوق والواجبات ، فرصة لتحقيق الأخذ والعطاء فرصة لتكوين الأصدقاء وتخصيص المشاريع الاجتماعية والاهتداء إلى المثل العليا للأفراد وللجماعة .

هذا ينطبق بنوع خاص ياسيدتى على أبنائك وبناتك فى

طور المراهقة والبلوغ . إذا تزدهر حيوياتهم وينضج تفكيرهم ، ويتطلعون إلى الاعتماد على أنفسهم ، وتياجج حماسهم نحو الخدمات الاجتماعية الانسانية ، ويولعدن بالتأمل من موضوعات حيوية كالدين والسياسة والنظم الاجتماعية والتقاليد السائدة ، ويصبحون قادرين على النقاش العلمى والتدليل المنطقي ، ويأبون أن تفرض عليهم العقائد فرضاً . فمن الخير إفساح المجال أمامهم للاشتراك في النوادي الرياضية والعلمية والاجتماعية والفنية ، بحيث تهيأ لهم الفرصة لممارسة الألعاب الرياضية ، ولتفوق جمال الفنون المتنوعة ، ولتنظيم المشروعات الاجتماعية ، ولبحث الموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية والفلسفية على أساس من العلم الصحيح والمنطق السليم والاحترام المتبادل والرغبة المشتركة في الوصول إلى الحق دون ضغظ أو إرهاب .

فلا تفزعني ياسيدتي إذا وجدت إبنك الشاب أو إبنتك الشابة ، تناقش مسائل خطيرة ، وتشك في أمور طالما سلمنا بها نحن الآباء والأمهات ، ويهترها القلق بشأن سلوكها في مواقف معينة . فإن صداقة الوالدين لهما ، وتوفير فرصة للنقاش العلمى

المنطقي في الأسرة والنوادي الثقافية ، وتمهد تفكيرهم المزدهر بالصقل والتوجيه في الكلية عن طريق التخصص في فرع من فروع العلم أو الأدب ، ثم ممارسة عمل قيم في الهيئة الاجتماعية . كل هذه كفيلة بصوغ آرائهم ومثلهم العليا على أساس عامي اجتماعي سليم .

ومن مميزات الشباب والشابة في هذا العهد ، إنهما يتعلقان بالشخصيات الممتازة في أي ناحية من نواحي الحياة ، ويتحمسان لها وينسجان على منوالها . فيمكنك يا سيدتي أن نتظني لأولادك فرصاً يتعرفون فيها على هذه الشخصيات العظيمة إما عن طريق المقابلة أو قراءة تاريخ حياتهم . والشخصية الأولى التي لها أعمق الأثر على شخصية الشباب هي شخصية الوالدين أنفسهم . وقد تكون شخصية الوالدين مثالا حياً لحب الإنسانية واحترام الأفراد والتعاون على مصلحة المجتمع ، وقد يقصر هذا المثال على الحياة المنزلية ، ولكن اشتراك الوالدين اشتراكاً فعلياً في الأعمال الاجتماعية التعاونية الشعبية أيضاً يؤثر أبلغ تأثير في غرس حب إنسانية في نفسية الشباب . في يدك أكثر

من هذا يا سيدتى . فى يدك توجيه الشباب من أبنائك وبنائك .
أن يبجلوا العلماء الذين يكرسون علمهم لمداواة عليل البشر ،
ويعبدوا الاجتماعيين الذين ينشئون المنظمات التى تعين كل فرد
من أفراد الأمة على تنمية ما وهبه الله من مواهب . ويولعوا
بالسياسيين الذين يعملون على ائتلاف الأجناس البشرية وتقوية
الإيمان بقيمة الإنسان الذى خلقه الله فأبدى خلقه .

وهكذا يا سيدتى فى ختام هذه الأحاديث أعود فأقول :

إن من تدرج من حب والديه إلى حب زملائه إلى حب مواطنيه
والبشر أجمع ، تعاون ما فى اسمه لرقى الإنسانية . ومن نشأ على
تبادل الاحترام بين أسرته وبين زملائه وبين مواطنيه احتلت
قيمة الإنسان المكان الأول من اعتباره . فمن كان دافعه
التعاون لرقى الإنسانية مع احترام شخصية الفرد ، فلقد حقق
ما نسميه حب الخير وانتهج سبيل الله . ألم تكن هذه هى خطة
الأنبياء والمرسلين ؟

أرأيت يا سيدتى كيف أن الحب الذى يزدهر بينك وبين
طفلك هو أساس حب الإنسانية وحب الخير ؟ هو أساس
التربية الدينية الحقة .